

تفسير البحر المحيط

@ 407 يداه إلى رجليه مع عنقه ، لم يكن له ما يتقي به النار إلا وجهه . قال مجاهد :
يجر على وجهه في النار ، ويجوز أن يعبر بالوجه عن الجملة . وقيل : المعنى وصف كثرة ما
ينالهم من العذاب ، يتقيه أولاً بجوارحه ، فيتزيد حتى يتقيه بوجهه الذي هو أشرف جوارحه
، وفيه جواب ، وهو غاية العذاب . قال ابن عطية : وهذا المعنى عندي أبين بلاغة . في هذا
المضمار يجري قول الشاعر : % (يلقي السيوف بوجهه وبنحره % .
ويقيم هامته مقام المغفر .
%) .

لأنه إنما أراد عظم جرأته عليها ، فهو يلقاها بكل مجن ، وبكل شيء عنه ، حتى بوجهه
وبنحره . انتهى . و { سُوء الْعَذَابِ } : أشده ، وخبر من محذوف قدره الزمخشري : كمن
أمن العذاب ، وابن عطية : كالمنعمين في الجنة . { وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ } : أي قال
ذلك خزنة النار ، { ذُوقُوا مَا كُنتُمْ } : أي وبال ما كنتم { تَكْسِبُونَ } من
الأعمال السيئة . { كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَدِ لَهُمْ } : تمثيل لقريش بالأمم الماضية ،
وما آل إليه أمرهم من الهلاك . { فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ }
: من الجهة التي لا يشعرون أن العذاب يأتيهم من قبلها ، ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم
منها . كانوا في أمن وغبطة وسرور ، فإذا هم معذبون مخزيون ذليلون في الدنيا من ممسوخ
ومقتول ومأسور ومنفي . ثم أخبر أن ما أعد لهم في الآخرة أعظم . وانتصب { قُرْءَانًا
عَرَبِيًّا } على الحال ، وهي حال مؤكدة ، والحال في الحقيقة هو عربيًا ، وقرآنا توطئة
له . وقيل : انتصب على المدح ، ونفى عنه العوج ، لأنه مستقيم يرى من الاختلاف والتناقض .
وقال عثمان بن عفان : غير مضطرب . وقال ابن عباس : غير مختلف . وقال مجاهد : غير ذي
لبس . وقال السدي : غير مخلوق . وقيل : غير ذي لحن . قال الزمخشري : فإن قلت : فهلا قيل
مستقيماً أو غير معوج ؟ قلت : فيه فائدتان : إحداهما : نفى أن يكون فيه عوج قط ، كما قال
: { وَلَمْ يَجْعَلْ لَّهُ عِوَجًا } . والثاني : أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون
الأعيان . وقيل : المراد بالعوج : الشك واللبس ، وأنشد : % (وقد أتاك يقيناً غير ذي
عوج % .
من الإله وقول غير مكذوب .
%) .

انتهى . ولما ذكر تعالى أنه ضرب في القرآن { مِّنْ كُلِّ مَثَلٍ } : أي محتاج إليه ، ضرب هنا مثلاً لعابد آلهة كثيرة ، ومن يعبد الله وحده ، ومثل برجل مملوك اشترك فيه ملك سيئو الأخلاق ، فهو لا يقدر أن يوفي كل واحد منهم مقصوده ، إذ لا يتغاضى بعضهم لبعض لمشاحتهم ، وطلب كل منهم أن يقضي حاجته على التمام ، فلا يزال في عناء وتعب ولوم من كل منهم . ورجل آخر مملوك جمعيه لرجل واحد ، فهو معني بشغله لا يشغله عنه شيء ، ومالكة راض عنه إن قد خلس لخدمته وبذل جهده في قضاء حوائجه ، فلا يلقي من سيده إلا إحساناً ، وتقدم الكلام في نصب المثل وما بعده . وقال الكسائي : انتصب رجلاً على إسقاط الخافض ، أي مثلاً لرجل ، أو في رجل فيه ، أي في رقه مشتركاً ، وفيه صلة لشركاء . وقرأ عبد الله ، وابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، والزهري ، والحسن : بخلاف عنه ؛ والجحدري ، وابن كثير وأبو عمرو : سالما اسم فاعل من سلم ، أي خالصاً من الشركة . وقرأ الأعرج ، وأبو جعفر ، وشيبة ، وأبو رجاء ، وطلحة ، والحسن : بخلاف عنه ؛ وباقي السبعة : سلما بفتح السين واللام . وقرأ ابن جبير : سلما بكسر السين وسكون اللام ، وهما مصدران وصف بهما مبالغة في الخلوص من الشركة . وقرئ : ورجل سالم ، برفعهما . وقال الزمخشري : أي وهناك رجل سالم لرجل . انتهى ، فجعل الخبر هناك . ويجوز أن يكون ورجل مبتدأ ، لأنه موضع تفصيل ، إذ قد تقدم ما يدل عليه ، فيكون كقول امرئ القيس : % (إذا ما بكى من خلفها انحرقت له % . بشقّ وشق عندنا لم يحوّل .